تأبين السر جمس نولس

عوتبنا في الشهر الماضي لاننا لم ننشر ترجمة السر جمس نولس صاحب مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية . فوعدنا ان نشر في هذا الجزء بعض ما قالهُ فيهِ اصدقاؤهُ ومريدوهُ ونشروهُ في تجلتهِ وانجازًا لذلك نقول : — كتب ستة من هؤلاء الفضلاء مقالات وجيزة كالتأبين وصفوا فيها اخلاق الفقيد وسيرتهُ امورًا لا يعلمها الاَّ اخصاؤهُ الادنون . قال اولهم وهو نيافة المطران ولدن

ان من اصعب الامور على الانسان ان يؤبن صديقًا عزيزًا كريمًا فان هذا التأبين لا يرضي المؤبَّن ولو ارضى كل احد سواهُ لان الاخلاق التي توجب الصداقة لا يمكن التعبير عنها بالكلام كما لا يمكن التعبير عن طرب الالحان وعرف الازهار

كان المرحوم السر جمس نولس آية في اصطفاء الاصدقاء ولعلهُ لم يكن لاحد من معاصريهِ ما كان لهُ من الاصدقاء لا في عددهم ولا في اختلاف انواعهم حتى لقد يصح ان يقال ان من لم يعرفهُ لم يكن معروفًا ومن عرفهُ حق المعرفة وهو في احسن اوقاتهِ فقد عرف كل الذين يستحقون ان يُعرَفوا في مدينة لندن . وكانت لهُ مشاركة في كل المطالب في الفنون والآداب والعلوم الاجتماعيَّة والسياسيَّة والطبيعيَّة والدينيَّة وقد اشتغل بها كلها . وكان فيهِ شيءٌ يجتذب الناس اليهِ ويجعلهم يثقون بهِ ولم يكن هذا الشيء كتابة كتبها او كلامًا قالهُ بل كان الرجل نفسهُ . ولقد كنت اجلس على مائدتهِ وانا افكر مستغربًا كيف يستطيع هذا الرجل اجتذاب الناس اليهِ على قلة كلامهِ وضعف صوتهِ حتى لا يكاد يسمع . فالذي جذبهم اليهِ انما هو مغنطيس نفسهِ لا سواهُ ولقد اشرق في حلقة اصدقائهِ ومريديهِ لانهُ اراد ان لا يشرق فيها . وكان خير موصل بين قلوب الناس وافضل رابطة بينهم وامهر انسان في استخراج جواهرهم على اختلاف آرائهم ومشاربهم ولم يكن نصيبهُ من احاديثهم الاَّ فك قيود السنتهم واطلاقها في الكلام . وكان شأنهُ في الآداب والمعارف شأنهُ في الحديث فانهُ كان من اندر الناس على الكتابة ولم يكتب الاَّ نادرًا ولكنهُ حرَّض اصدقاءهُ على الكتابة واطلق قيود الاقلام ولم يكتفِ باستكتاب الامراء والعظماء كما قيل عنهُ بل فتَّش ايضًا عن الكتَّاب الخاملين ونشطهم على الكتابة واكتشف القرائح في غير مظانها ووسَّع لها المجال للظهور والتفوُّق ولم يكن يسر بشيء سروره باكتشافهِ كاتبًا غير معروف وسواء كان كتَّاب مجلتهِ من المجلِّين في ميدان الكتابة او من المبتدئين فيهِ فانهُ كان يستخرج منهم افضل ما يستطيعون انشاءهُ

وكان يهتم بكل المسائل العصرية ولكنهُ لم يكن ينظر فيها نظر المتعرض ولذلك فتح ابواب مجلتهِ لكل الاحزاب والآراء ولم يمل بها الى جهة دون اخرى الاَّ في المسائل التي حسب ان سلامة السلطنة تتوقف عليها كما في مسألة انشاء سكة بين انكلترا وفرنسا تحت بحر المانش. وان كان عندي عليهِ شيء انتقدهُ بهِ فهو انهُ كان يظهر قلَّة التديُّن مثل كثيرين غيرهِ وهو متديِّن حقيقةً على ما ارى

واخلاقهُ هذه ظهرت في مجلتهِ فكلُّ احد يعلم ان مجلة القرن التاسع عشر هي مجلة العلوم والآداب والارتقاء الاجتماعي والسياسي والديني . وكان يستحيل عليهِ ان يعمل عملاً من ورائهِ انحطاط الناس او ايهامهم بأمور لا صحة لها ولذلك انشأ هذه المجلة واجراها في خطتهِ فاشتهرت بها وصار كبار الكتَّاب يتسابقون الى الكتابة فيها وكل منهم يفتخر بان يحسب في عداد كتَّابها . ولم يشأ ان ينشر مقالة فيها ما لم تكن مذيلة باسم كاتبها لكي يشعر كل كاتب انهُ مسؤول عمَّا كتب كما يشعر صاحب المجلة انهُ مسؤول عن كل ما يُنشر فيها

وكان حاد البصيرة شديد الانتقاد اذا عُرضت عليهِ مقالة عرف حالاً ما فيها من الغث والسمين بالبداهة وكيف يمكن تنقيحها حتى تخلو من العيوب. ولقد كتبتُ لهُ مقالات كثيرة في اوقات مختلفة وكان ينتقد بعضها و يطلب مني تنقيحها او اختصارها فكنت اجد في آخر الامر انهُ مصيب في حكمهِ وان المقالة التي انقحها او اغيرها حسب طلبهِ تصير اصلح مما كانت قبلاً

ويظهر لي اننا اذا تقدمنا في السن ودنونا من القبر صرنا ننظر الى اصدقائنا الذين تقدمونا لا حسب ما حازوهُ من الشهرة في عيون الناس بل حسب ما لهم من المنزلة في قلوبنا. ولا ابالغ اذا قلت ان السر جمس نولس من الرجال الذين موتهم يجرح كثيرين جرحاً لا اعمق منهُ غوراً ولا اشد سمةً الماً . ولا اعني بذلك انهُ كان محتلاً ارفع المنازل في نظر اهل العالم بل انهُ كان محتلاً منزلة خاصة بهِ فان البعض من اشهر مشاهير الارض لا يصعب ان يوجد من يقوم مقامهم حالاً وغيرهم رهم دونهم شهرة يتركون وراءهم فراغاً لا يمكن املاؤهُ. وسيبقى مكان السر جمس نولس فارغاً في الهيئة الاجتماعية الانكليزية. والذين عرفوهُ قديماً وهم ينظرون الآن الى مكانهِ والدموع ملءُ عيونهم تحركهم ذكراهُ للنظر الى كل ما هو جميل فاضل في الحياة والى الايمان الوثيق بان الفوز سيكون اخيراً للحق والمحبة. انتهى باختصار قليل

وجاء في ما كتبهُ غيرهُ ان السر جمس نولس كان يقصد كبار الكتَّاب ويطلب منهم ان يكتبوا لهُ في بعض المواضيع واذا رأى من الكاتب زهداً في الموضوع باحثهُ فيهِ وفصَّلهُ لهُ حتى يجد الكاتب من نفسهِ ارتياحاً الى الكتابة فيهِ. ولقد قال غلادستون ان نولس لم

يذاكرهُ مرةً في موضوع الاَّ انتهت المذاكرة بجعلهِ يكتب لهُ مقالةً في ذلك الموضوع

وكتب فردرك هريسن في تأبينهِ واصفاً كيفيَّة انشائهِ للجمعية التي تبحث في ما وراء الطبيعة ولمجلة القرن التاسع عشر فقال ان تلك الجمعية كانت تضم ٦٢ رجلاً من نخبة كتَّاب العصر وفلاسفتهِ مثل تنسن وغلادستون ودين ستنلي وكردينال منغ وهكسلي وتندل ورسكن وفرود وهوريس وسنيور وسيلي وباجوت وجون مورلي وكليفورد وفردرك بولك ومارك باتيسن وجون لبوك وبلفور . ومن المواضيع التي تبحث فيها اعضاؤها . النفس . والله . والموت . والخلود . والعجائب . والارادة . والمادة . والقوة . والمطلق . والدليل . والبديهة . اي ان تلك الجمعية كانت تضمُّ كل ارباب الافكار من الكاثوليك المتطرفين في الكثلكة الى الماديين . وكان السر جمس نولس ينشر مقالاتهم وباحثاتهم في مجلة المعاصر لما كان محرِّرًا لها ثم انشأ مجلة القرن التاسع عشر وصار ينشرها فيها وحلَّت تلك الجمعية سنة ١٨٨٠ ولكن بقي اعضاؤها يكتبون في مجلة القرن التاسع عشر التي مضى عليها الآن ٣١ سنة وهي جارية في خطتها حتى صارت قوة عليَّة في العالم القديم والجديد واثَّرت تأثيرًا عظيمًا في انشاء المجلات وفي الافصاح عن الآراء

ويظهر مما قرأناهُ عنهُ في اماكن اخرى انهُ كان من اوجه وجوه الانكليز وان امراء انكلترا كانوا يزورونهُ ويتجمَّلون في بيتهِ وانهُ كان ايضاً من كبار المهندسين وقد هندس كثيرًا من المباني الكبيرة واشرف على بنائها . وكانت ولادتهُ سنة ١٨٣١ وانشأ الجمعية المشار اليها آنفاً سنة ١٨٦٩ وبقي يحرر مجلة المعاصر من سنة ١٨٧٠ الى سنة ١٨٧٧

وقلما تجد جزءًا من اجزاء القرن التاسع عشر الاَّ وتجد فيهِ مقالات لاشهر امراء الانكليز وعظمائهم ولا تزال هذه المجلة جارية في خطتها فالجزء الذي نقلنا عنهُ هذا التأبين فيهِ ١٢ مقالة لكبار الكتاب عدا مقالات التأبين ومنهم السر وليم هربت الذي كان مديرًا لبناء المدرعات الانكليزية ولورد سنانلي والقانون هنسلي هنسن . والسيد امير علي افندي وامثالهم

وقد فتحنا عرضاً مجلدًا من المجلدات السابقة وهو المجلد الثالث عشر الصادر في النصف الاول من سنة ١٨٨٣ فوجدنا بين كتَّاب مقالاتهِ ارنولد فوستر والبرنس كرابتكن الروسي وكردينال منغ ودوق ارجيل والدكتور مرتينو ولورد نورتن والدكتور جسوب وجوزف ريناخ وتنسن (لورد تنسن) وفردرك هريسن ولورد لفرد ولادي باجت ولسلي ستفن ولورد لتن والسر جون لبك ومتيو ارنولد والاستاذ بلاكي وارل كرومر وامثالهم من نوابغ العصر